أضرحة مدينة ولاته الموريتانية
دراسة تاريخية حضارية

أ. عبد الرحيم حنفى عبد الرحيم•

أ.د. محمد الكحلاوي ••

الملخص:

أخذت عمارة الأضرحة قسطًا كبيرًا من اهتمام المسلمين عبر العصور، حتى أصبحت إحدى سمات العمارة الإسلامية في المشرق والمغرب، والأضرحة من العمائر التي شاع بناؤها على قبور الأولياء في المغرب الإسلامي، ولعل من أهم أسباب انتشار ظاهرة بناء الأضرحة على قبور الأولياء والصالحين هي درجة التقديس والاحترام الذي يكنه السكان لأولياء الله في هذه المناطق منذ فترة قديمة.

وتمثل الأضرحة في مدينة ولاته جانبًا حيًّا وملموسًا من التراث الولاتي؛لما لها من مكانة كبيرة في نفوس الولاتيين؛ لأنها تضم قبور الأولياء والصالحين؛اعتقادًا من أهل المدينة في صلاحهم وولايتهم فالأضرحة تنصب خصيصًا لزائري هؤلاء المشايخ الذين يمثلون مكانه روحية لدى ساكني هذه المدينة، فلذلك قام بعض الولاتيين بتشييد بعض الأضرحة، وذلك بالبناء عليها تمييزًا لها عن غيرها من قبور العامة.

وبناءً على تلك الأهمية التي تمتعت بها الأضرحة في ولاته بين غيرها من العمائر الأخرى، فهى لم تكن مجرد منشآت تُبنى بواسطة الأهالي وسكان المدينة، ولكنها قد جاءت تعكس في عمارتها ثقافة هذا الشعب.

الكلمات الدالة:

ضريح – ولاته – ايوالاتن– بيرو – البكاى.

• رئيس قسم المخطوطات – متحف الفن الاسلامي abdelrehim.moussa@gmail.com

••أستاذ الآثار والعمارة الإسلامية بكلية الآثار – جامعة القاهرة .

المنارة للاستشارات

www.mar

الموقع الجُغرافي لمدينة وَلاَتَه:

تُمثل المدينة إحدى المقاطعات الستة التابعة لولاية الحوض الشرقي[١]، وهي تبعد ١٢٠٠كم شرق مدينة نواكشوط يحدها من الغرب ولاية (تكانت) ومن الشمال ولاية (آدرار) أما من الجنوب الغربي فتحدها ولاية الحوض الغربي، وكذلك مقاطعة (تنميدغه) ومن الجنوب مدينة (النعمة) عاصمة الولاية، أما حدودها الشرقيَّة والشماليَّة الشرقيَّة ففيها على التوالي تقع مقاطعة (باسكنو) وجمهورية (مالي)[٢]. (خريطة١)

وتقع مدينة وَلاَتَه فَلكيًا بين دائرتي عرض (١٦ و٣٢ درجة) شمالاً، وخطي طول (٥,٥ و٩ درجة) غربًا.

أما مساحتها فتصل (١٣٤,٠٠٠كم)، وبالتالي نجد أن المدينة تقع في القسم الشمالي الجاف من المنطقة المَدَاريَّة، وهو ما يعني أنها منطقة انتقال بين المناخين الصحراوي والسوداني، وهذا الموقع جعلها تظل دومًا عُرضَةً لتلقي الرياح التجاريَّة الشماليَّة الشرقيَّة الجافة صيفًا والباردة والجافة شتاءً، وما ينجم عن ذلك من نقل وتَرسيَّب للرمال[٣].

---

[١] الحوض هى البلاد التي تشمل الجنوب الشرقي الموريتاني الحالي وما يتصل به شمالاً من سهل أوكار المتصل بهضبة تكانت في النطاق الشرقي الموريتاني، وما يلاصقه جنوبًا من الأراضي الماليَّة من البلاد، والتي تُسمى أزواد، وكانت بلاد الحوض من أهم مراكز ثقافة البيضان العالمة لوجود المدن الكبرى فيها كمدن تيشيت، وَلاَتَه، النعمة، ونظرًا لاتصالها المبكر والدائم بالأمصار العربيَّة الشهيرة كالحرميَّن الشريفيَّن، القاهرة، فاس، تلمسان؛ انظر: حماه الله ولد السالم، المجتمع الأهلي الموريتاني، مدن القوافل، مركز دراسات الوحدة العربيَّة، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٢٣٩ .

[٢] سيدى بن مرزوك، مدينة وَلاَتَه دراسة إقليميَّة، بحث الإجازة في الجغرافيا، قسم الجغرافيا، كليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة، جامعة نواكشوط، ١٩٩٩،ص٥.

[٣] مرزوك، ص٥.

المنارة للاستشارات
www.mar

أولا: المسميات المختلفة لمدينة ولاته

عرفت مدينة ولاته بعدة تسميات مختلفة أطلقت عليها في المصادر وكتب التاريخ، وكان أول ذكر لها عندما ذكرها ابن الخطيب (ت٧٧٦ هـ-١٣٧٤م) وسماها إيوالاتن[٤].

وتتكون ولاته تاريخيا من عدة تجمعات أقدمها بيرو، وهي النواة الأولى للمدينة إضافة الى تازخت[٥]،والتي تمثل الضاحية القريبة منها وتقع أطلالها بالمدخل الجنوبي الغربي لولاته بالإضافة إلى ولاته المركز، ويرجح أن تعدد أجزاء المدينة خلال العهد الوسيط هو السر في تسميتها بايوالاتنالتي تبدو لنا مجرد صيغة الجمع البربرية لولاته، ويبدو أن المدينة عندما كانت تتكون من عدة أجزاء أطلق عليها اسم "ايوالاتن"، وعندما تراجعت الأجزاء المكونة لها وتلاشت تم تسميتها بولاته[٦].

أما ابن خلدون فقد ذكرها باسم "والاتن"[٧]، وذكرها أحمد بابا التنبكتي الذى نشأ في تنبكتو(١٠٣٦/٩٦٣هـ- ١٦٢٧/١٥٥٦م) باسم ولاتن [٨]، وذكرها محمود كعت

---

[٤] ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، تعليق بوزيانى الدراجى، دار الامل للدراسات، ج ٢، ط١، الجزائر، ٢٠٠٩، ص ٥٥٧ .

[٧]قرية تازخت أحدى قرى ولاته، عمرتها قبائل كل- أنصار وهى من مسوفة وسبب خرابها غزو من قبيلة أولاد يونس من عرب بنى حسان الذين دخلوا في شرق موريتانيا في القرن العاشر لقد وفد أولاد يونس الى شمال الحوض منذ القرن (٩هـ-١٥م) واستقروا في الحيز الغربي من الاقليم الواقع غرب ولاته ودخلوا في صراعات مع سكانها من البيض والسود ثم قاموا بتخريب قرية تازخت الشهيرة، ، ويقال لها العامة تيزغت وهى غربي ولاته على نحو الميلين منها وكانت قرية علم ودين إلا أن رؤسائها لهم مغرم على ولاته وإضرار بأهلها حتى اضطروا الى الجلاء منها الى تنبكتو، ولما خربها أولاد يونس دخل بعض أهلها ولاته وصار في عداد المحاجيب رؤساؤها، عن عبد الرحمن السعدى، تاريخ السودان، تحقيق حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٢، ص ص ١٤٩، ١٥٠، وللمزيد أيضا انظر احمد مولود ولد أيده الهلال، الصحراء الكبرى، الجزء الاول، وزارة الثقافة الجزائرية، ٢٠٠٩، ص ص ٢٠٤،٢٠٥.

[٦] أحمد مولود ولد أيده الهلال، مدن موريتانيا العتيقة، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبى رقراق، الرباط ، ٢٠١٤، ص ٩٨ .

[٧] عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر، مراجعه سهيل زكار، ج٧، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٤١١.

المنارة للاستشارات
www.mar

المُتوفى(١٠٠٢هـ – ١٥٩٣ م) باسم بيرُ [٩].وقد ذكرها أحمد المقري التلمساني (١٠٤١هـ/١٦٣٢م) بإيوالاتن[١٠].

وقد عُرفت المدينة باسم بيرو عندما كانت خاضعة لإمبراطورية غانه ثم تغير اسمها لتصبح "إيولاتن" أو "ولاتن" بعد نزوح جالية كبيرة من سكان كومبي صالح إليها بعد هدمها من طرف الصوصو، ثم تغير الاسم تدريجيًّا ليصبح ولاته بعد مجيء المحاجيب إليها[١١].

وقد تبدلت أسماء ولاته بتبدل سكانها فسميت "بيرُ "حين قطنها بعض الزنوج وسميت إيولاتن حسب نطق سكانها من التوارق المسوفيين، وتعرب الاسم مع قدوم بنى حسان فنطقوه ولاته تعريبا على غرار صنهاجه التي هى تعريب إصنهاجن، أصله إزناكن[١٢].

تاريخ تأسيس مدينة ولاته

هناك اختلافات حول تاريخ نشأة مدينة ولاته، حيث يذكر العلامة محمد عبد الله بن أحمد المصطفي المعروف بـ(اب بن ان) المحجوبي إن تاريخ تأسيس المدينة غير معلوم على وجه الدقة وأقوال المؤرخين فيه متضاربة إلا أن العلامة الطالب ببكر بن أحمد المصطفي المحجوبي ذكر أن ولاته بنيت قبل الاسلام وأن يحيي الكامل بن موسى الكاظم الجد الأعلى لقبيلة المحاجيب قدم إلى ولاته في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي[١٣].

---

[٨] أحمد بابا التنبكتى، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم، عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، الطبعة الأولى، ١٩٨٩، ص ٢٣٥ .

[٩] محمود كعت، تاريخ الفتاش في ذكر الملوك وأخبار الجيوش وأكابر الناس، تحقيق حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٢، ص٦١.

[١٠] أحمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غضن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، مج ٥، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨، ص٢٠٥.

[١١] سداتي بن بابيه، وَلاَتَه من الحاضر إلى الماضي، سيرك ش. م، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥، ص ١٨.

[١٢] حماه الله ولد السالم، تاريخ بلاد شنكيطي (موريتانيا) من العصور القديمة الى حرب شربيه الكبرى، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، لبنان، ٢٠١٠، ص ص ١٧٩ ،١٨٠.

[١٣] بابيه، وَلاَتَه، ص١١٣.

المنارة للاستشارات
www.mar

ويرى المؤرخ المختار بن حامدون: "أن المدينة أسست من طرف زنوج صونكيين رحلوا اليها من غانا[١٤]، وقد تصدعت أركان مملكة غانا تحت ضغط أمراء الصوصو في القرن (٦هـ/١٢م) وهاجر علمائها الى ولاته[١٥].ولم يصل إلينا على وجه التحديد مصادر ذكرت تاريخ نشأة المدينة في القرون الأولى نظرا لقلة المصادر والبحوث.

أهمية مدينة ولاته تجاريًا:

تعتبر مدينة ولاته من المدن الموريتانية التي تألقت في مجال التجارة الصحراوية التي عرفتها المنطقة منذ عصور طويلة، وقد اشتهر اسم هذه المدينة كمحطة من محطات التجارة الصحراوية المهمة، حيث كانت تمر بها طريق يربط بين سجلماسة في الشمال والسودان الغربي وذاع صيتها التجاري[١٦].(خريطة٢)

وقد أدى وقوع مدينة ولاته على الحدود الجنوبية للصحراء الكبرى بأن تكون أهم منطقة تلتقي عندها القوافل العابرة للصحراء لتتزود بالمياه وتتبادل السلع، وهي القوافل التي كانت تمر بولاته وتربط بين المغرب وبلاد السودان، وكذلك القوافل التي كانت تتاجر بالملح بين بلاد شنقيط وبلاد السودان[١٧].

فقد ازدهرت مدينة ولاته تجاريًا بحكم موقعها على الطريق التجاري الذي تمر بها القوافل العابرة للصحراء، وكان يطلق عليها الميناء الصحراوي في بعض الأحيان لما لعبته

---

[١٤] غانا: تسمى أيضا بواغادو وعاصمتها كومبى صالح وتكونت من مجموعة من القبائل الصغيرة المتفاوته من حيث مستوى تطورها وقد كانت تضم أراضى ممتدة من المحيط الاطلسى الى بحيرة ديبو ومن الصحراء الى حدود الغابات المدارية ... عن مجموعة من الباحثين، الحضارة الاسلامية في مالي، ترجمة محمد وقيدي، منشورات المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ايسيسكو، ١٩٩٦،ص١٧.

[١٥] المختار ولد حامد، موسوعة حياة موريتانيا، التاريخ السياسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠، ص ٦٢.

[١٦] سيد عبد الله بن البخاري، حوليات ولاته، بحث الاجازة، جامعة نواكشوط، كلية الآداب والعلوم الانسانية، قسم التاريخ، ١٩٩٢، ص ١٣.

[١٧] بابيه، ولاته، ص ١٠٨.

المنارة للاستشارات
www.mar

من تنسيق تجاري بين الشمال والجنوب الصحراوي[١٨]، وبعد اندثار مدينة أوداغست تحول إليها الثقل التجاري وازداد مركزها بعد سقوط مدينة كومبي صالح[١٩].

وقد لعبت مدينة ولاته دورًا مهمًا في مرور السلع والتبادل بين الشمال ومنطقة الساحل، وقد أرسل التجار المغاربة المبعوثين إلى مدينة ولاته الذين كانوا يخبروا بوصول القافلة ويسألوا عن مصادر المياه، ويقوموا بنقل الرسائل التي أرسلها التجار لزملائهم المقيمين هناك، ويستأجروا المنازل للإقامة فيها، وفي حالة لم يوجد مراسل في "إيوالاتن" يكتب إلى التاجر المعروف بالمدينة لتقديم المساعدة على نفس النمط[٢٠].

وبالرغم من المسالك الصعبة التي تفتقر إلى الماء والمناخ القاسي الذي لا يساعد على التنقل والترحال في تلك المدينة فإن ذلك لا يمنعها من الازدهار التجاري، ولم توقف تلك المسالك الوعرة تنشيط حركة نقل البضائع فكان ينقل مختلف المنتجات الصحراوية من ملح وزيت وذهب، ولا ريب أن الطابع الجغرافي للمدينة ليس الأوحد في نمو هذه المدينة وتطويرها، وإنما هناك عامل آخر لا يقل أهمية عن الأول، ويتعلق بالتجارة التي كان لها الأثر البالغ في نموها وتطويرها لكونها تقع على طرق النقل والتجارة، وهو العامل الأهم بالنسبة لمدن الصحراء، فمدينة ولاته تصنف من ضمن المدن الذاتية كغيرها من المدن الصحراوية الكثيرة التي نمت وتطورت نتيجة لظروف جغرافية وأخرى تجارية عكس المدن الأميرية والملكية التي أنشئت بأوامرهم.

الأضرحة بمدينة ولاته

الضريح مأخوذ لغويا من ضرح الشيء (بفتحتين): قطعه وشقه، ضرح الرجل: دفعه ونحاه، ضرح القبر: حفره، وضرح الثوب: ألقاه، ضرح الشيء (بفتح الضاد وكسر الراء):

---

[١٨] سيد أحمد ولد محمد مولاي، ولاته ودورها الثقافي من ١٦٠٠- ١٨٩٩م، بحث الاجازة، جامعة نواكشوط، كلية الآداب والعلوم الانسانية، قسم التاريخ، ٢٠٠٦، ص ٨.

[١٩] محمد الأغظف، محمد البشير بن سيدى بن حمادي، ولاته ملتقى الثقافات بين الغرب الإسلامي وبلاد السودان في الفترة ما بين ١٢٠٤ – ١٩١٢ م، بحث منشور ضمن اعمال الندوة العلمية بمناسبة مرور مائة عام على وفاة محمد يحيي الولاتي، منشورات مركز البحوث والدراسات الولاتية، نواكشوط، الطبعة الأولى، ٢٠١٣، ص١٤٦.

[20] Jean Devisse et Serge Robert, Villes anciennes de Mauritanie, paris,1975, p29.

المنارة للاستشارات
www.mar

تشقق وفسد، والضرح (بتشديد الضاد وفتحها وسكون الراء) – جمع أضراح–:التباعد والوحشة، والمُضْطرح (بضم الميم وسكون الضاد): المرميفي ناحية، والضريح – جمع ضرائح وأضرحة[٢١].

الضريح هو الحجرة المشتملة على قبر أو تربه تعلوها قبة، وقد ميز البعض بين القبر الذى هو حفرة الميت وبين التربة التي هى بناء مقام فوق القبر الذى أخذ في العصر الإسلامي أشكالا عديدة كان منها البسيط الذى يتكون من كومة من الحصى أو التراب بشاهد أحيانًا وبغير شاهد أحيانًا أخرى، ومنها المبنى المرتفع الذى تفنن المعماريون فيه حتى القصور[٢٢].

والضريح عبارة عن بناء تغطية قبه يقام على رفات سلطان أو أمير أو إنسان له مكانة دينية أو دنيوية تدعو إلى تخليد ذكراه، وتنقسم الأضرحة الى قسمين: أولهما المنفرد البسيط الذى يتكون من غرفة واحدة مربعة مقبية تضم التربة وحدها، وثانيهما الملحق الملاصق للمسجد أو المدرسة أو الخانقاة ونحوها، ومن أقدم الأضرحة الإسلامية قبة الصليبة في سامراء التي أقيمت فوق مدفن الخليفة المنتصر بالله العباسي (٢٤٥هـ/٨٦٢م)[٢٣].

أخذت عمارة الأضرحة قسطًا كبيرًا من اهتمام المسلمين عبر العصور، حتى أصبحت إحدى سمات العمارة الإسلامية في المشرق والمغرب، والأضرحة من العمائر التي شاع بناؤها على قبور الأولياء في المغرب الإسلامي، ولعل من أهم أسباب انتشار ظاهرة بناء الأضرحة على قبور الأولياء والصالحين هى درجة التقديس والاحترام الذي يكنه السكان لأولياء الله في هذه المناطق منذ فترة قديمة، وقد انطلق معظم هؤلاء الأولياء المرابطون من الساقية الحمراء في جنوب المغرب وانتشروا ليؤسسوا عائلات كبيرة من الصالحين[٢٤].

---

[٢١] عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠، ص١٧٤.

[٢٢] رزق، ص ١٧٥.

[٢٣] رزق، ص ١٧٥.

[٢٤] محمد بن سويسي، العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات تمنطيط نموذجا، من القرن ٦هـ الى ١٣هـ/ ١٢ م–١٩م، مخطوط رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، ٢٠٠٨، ص ١٢٠.

المنارة للاستشارات
www.mar

وقد أطلق أكثر من لفظ على هذا النوع من الأبنية الجنائزية ومن أهمها القبة، كما سُمِّي أيضًا بالتربة، وسمى بالمقام إذا كان فيه أثر أو ضريح لأحد الأنبياء، أما كلمة المزار فتعنى المكان الذي فيه قبر أحد العلماء أو الأولياء الصالحين[٢٥].

الصحراويون من أكثر خلق الله أيمانا بالقضاء والقدر، وإذا ما تُوفي الإنسان الصحراوي يشرف على غسله وتكفينه كبار القوم وخاصة من العلماء والفقهاء الذين يلقنونه الشهادتين ويكفنونه، ويدفن الصحراوي في الموقع الذي تُوفي فيه، وإنما تجد القبور مبعثرة في الصحراء حيثما يعيش الصحراويون[٢٦]. حيث أن نمط العيش الذي كان سائدًا هو الترحال؛ بحثًا عن الماء والكلأ فإنهم يدفنون أمواتهم في أقرب مقابر من ترحالهم؛ ولذلك فهناك مقابر لمواطن الاستقرار وأخرى لمواطن الترحال معروفة لدى الرحل لكنها لا توجد بها عمارة جنائزية في أحسن الأحوال، وإنما كانت عبارة عن شواهد قبور منقوشة على قطع من الحجر أو الصخر.

كما أن المجتمع الصحراوي يحترم قبور الأجداد، ويقيمون حولها هالة من التقدير والتقديس، وينحرون عليها النحائر عند مرورهم بها في الصحراء[٢٧].

وتعد الأضرحة أو المقابر في المدينة العتيقة جانبًا حيًّا وملموسًا من التراث الولاتي وتعتبر لها مكانة كبيرة في نفوس الولاتيين؛ لأنها تضم قبور الأولياء والصالحين لاعتقاد أهل المدينة في صلاحهم وولايتهم فالأضرحة تنصب خصيصًا لزائري هؤلاء المشايخ الذين يمثلون مكانه روحية لدى ساكني هذه المدينة فلذلك قام بعض الولاتيين بتشييد بعض الأضرحة وذلك بالبناء عليها تمييزًا لها عن غيرها من قبور العامة[٢٨].

وتختص مدينة ولاته بوجود مدفن خاص لكل قبيلة، فيوجد مدفن خاص بقبيلة المحاجيب وآخر للشرفاء وثالث لقبيلة أولاد داود فلكل مجموعة مدفنها إلا أن بعض الظروف والكوارث الطبيعية مثل الأوبئة كانت تضطر سكان ولاته الى دفن موتاهم أحيانا

---

[٢٥] سويسي، ص ١٢١.

[٢٦] محمد سعيد القشاط، صحراء العرب الكبرى، مؤسسة ذي قار، الطبعة الثانية ، ١٩٩٩، ص١٧٤.

[٢٧] القشاط، ص ١٧٥.

[٢٨] إبراهيم ولد سيد محمد، التراث الثقافي والمعماري لمدينة ولاته التاريخية، مخطوط رسالة دكتوراه، جامعة سيدى محمد عبد الله، كلية الآداب والعلوم الانسانية، فاس، ٢٠١٤، ص١٦٢.

المنارة للاستشارات
www.mar

في مقبرة واحدة دون مراعاة لانتمائهم القبلية مثل مقبرة كارفل التي تقع بغرب ولاته، وتتعدد المقابر والمدافن بولاته فمنها مقبرة حوش القبور شمال المدينة، ومقابر أهل يط، قتنك وكمصني في الجهة الشمالية، كنف، بالإضافة الى مقبرة الطارف بطرف الجبل الجنوبي والمنزلة[٢٩]، بالإضافة الى المصلى الساحلي وهو مكان يصلى فيه على الجنائز.

أولاً: ضريح سيدي أحمد البكاي[٣٠] الكنتي

يعتبر ذلك الضريح من أهم الأضرحة بالمدينة ويأتي إليه العديد من الأشخاص؛ لزيارته والتبرك بصاحب الضريح، فهو يحظى بالاهتمام والتقدير في منطقة الحوض الشرقي الموريتاني، ويرجح أن يكون الضريح من القرن (١١هـ/١٧م).

التعريف بصاحب الضريح

سيدي أحمد البكاي الكنتي توفي في ولاته سنة(٩١١هـ/١٥٠٤م)، يقال عنه أنه هو الذى أدخل طريقة القادرية إلى ولاته، ومنها انتشرت إلى سائر البلاد المحيطة، أخذها من شيخه سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي، واعتنقها الشيخ ماء العينين الذي امتد نفوذه في الصحراء الغربية، وأخوه الشيخ سعد بوه الذى كان له أتباع في أدرار وتيرس ونهر السنغال والشيخ سيديا المستقل عن الأخرين والذى كان له نفوذ على الضفة اليمنى للنهر حتى مدينة سنلويس[٣١].

وحسب ما ورد ذكره عن حادثة حصلت في القرن(٩هـ/١٥م) لصاحب ذلك الضريح تدل على كثرة العلماء الذين كانوا يوجدون في هذه المدينة في ذلك الوقت فعندما ورد اليها الشيخ سيدي أحمد البكاي الكنتي زائرًا لا مُقيمًا، وكانت ولاته قبل زيارته لا يستطيع أحد

---

[٢٩] الهلال، الصحراء الكبرى، ص٢٧٧.

[٣٠] البكاي: منح هذا اللقب البكاي أي الكثير البكاء من قبل معاصريه تقديرا لتقواه، ويروى أنه فاتته مرة واحدة الصلاة في المسجد وقد سبب له الندم فورا ودمعت عيناه كثيرا بسبب ذلك ...عن بول مارتي، كنته الشرقيون، تعريب محمد محمود ولد ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، د.ت، ص٢٩.

[٣١] أحمد بن سيدى،موريتانيا، الماضي المتحرك والمكان المؤثر، الشركة الافريقية للطباعة والنشر، د.ت، ص٣٤٨.

المنارة للاستشارات
www.mar

يبيت خارج الديار لكثرة السباع والحيوانات المفترسة التي تتجول حول الديار فجاء الشيخ سيدي أحمد البكاي، ونزل بساحة خلف الديار فبات في المكان الذى نزل به فأصبحت السباع منبطحة أمامه لم تضره بشيء فأمرها بالتوجه إلى بلاد أخرى، وأصبحت المدينة خالية من السباع بمجيئ ذلك الشيخ، وعندما أراد الرحيل من ولاته تعلق به العلماء في المدينة، وبالغوا في الإلحاح عليه؛ ليمكث معهم إلى أن رضخ لمطالبهم، وأقام معهم في ولاته إلى أن تُوفي بها فدفنوه في مكان مسيل للمياه في أرض بطحاء، وبعد مدة من الزمن رآه بعض الصالحين في المنام، فطلب منه أن يأمر أهل ولاته بنقل رفاته من البطحاء وتكررت الرؤيا مرتين أو ثلاثًا وتكرر معها طلب تحويل القبر، فقص صاحب الرؤيا الخبر على جماعة المسجد، وكان صاحب الرؤيا موثوقا به وحينها وقع الارتباك والحيرة بين الناس بشأن إمكانية نبش القبر من الوجهة الشرعية، ونقل الرفاة إلى مكان آخر، فما كان من علماء المدينة إلى أن سارعوا في عقد ندوة ضمت سبعين عالمًا بهدف بحث المشكلة ويذكر إلى أن هؤلاء العلماء كانوا ينتمون إلى حي المحاجيب، وقد أصدر هؤلاء العلماء فتوى بجواز نقل الرفاة، وتم نقله إلى طرف الجبل الغربي المعروف بقتتك[٣٢].

الوصف المعماري للضريح

يوجد الضريح في أعلى المدينة بعد نقله على حافة الجبل، وهو عبارة عن بناء مستطيل مبني من الحجارة والطين الأحمر من الخارج يتوسطه فتحة باب(١،٦٥م)، ويوجد بداخله تابوت خشبي مستطيل الشكل مغطى بناموسية بيضاء وأرضية الضريح مغطاة بالرمل ويوجد في أحد الأركان قدور بها ماء، وهو مطلي من الداخل بالطين الأبيض، وقد إستخدم جذوع شجرة العُشر(تورجه) فى عمل الاسقف حيث توفرها فى البيئة المحلية للمدينة، والمستخدم أيضا فى سقف مسجد مدينة ولاته[٣٣]، وبه فتحة للإضاءة والتهوية والبناء غير مستوٍ وبه تعرجات، ويوجد من الخارج بعض الألواح الحجرية تستخدم درجات سلم للصعود إلى سطح الضريح الذي به مزاريب لتصريف مياه الأمطار.**(شكل١) (لوحات١-١٠).**

(٣٢) بابيه، ولاَتَه، ص١٢٠، ١٢١.

(٣٣) الهلال، مدن موريتانيا، ص ٣٦١.

المنارة للاستشارات
www.mar

ثانيا: ضريح سيدي محمد بن مولاي اعل الولاتي

التعريف بصاحب الضريح

هو سيدي محمد بن مولاي اعل من أهل ولاته كان وليًّا عابدًا وَرِعًا، تُهدى إليه الأموال ولا يبيت عنده درهم واحد، وكان أكثر ما يهدى إليه العبيد قيل أنه أهدى إليه في وقت واحد في عام المقواس الأول ٣٠٠ رقيقًا وأعتقهم جميعًا فإذا أهدى له العبد البالغ أعتقه، وإن كان صغيرًا أرسله الى المحظرة للتعليم[٣٤]، فصاحب ذلك الضريح له مكانه عالية لدى سكان ولاته، وقد توفي في بداية القرن الرابع عشر الهجري/العشرين الميلادي حوالى(١٣٠٤هـ)[٣٥]، ويرجح أن يكون الضريح من بداية القرن (١٤هـ/٢٠م).

الوصف المعماري للضريح

يوجد الضريح على سفح الجبل جهة الشرق وهو عبارة عن بناء مستطيل مشيد من الحجارة والطين مطلى بالطين الأبيض الناصع من الداخل والخارج، ويوجد بداخله تابوت خشبي مستطيل الشكل لصاحب الضريح مغطى بناموسية بيضاء، كما يوجد بجانب الضريح مجموعة قبور أخرى لأشخاص مجهولين لبعض سكان أهل ولاته مما يدل على مكانة هذا الوالي الصالح لدى سكان المدينة، حيث أنهم يتسابقون من أجل الدفن بجواره، وقد استخدم جذوع شجرة العُشر المحلية في عمل الأسقف، وسطح الضريح به مزاريب لتصريف مياه الأمطار والضريح يغلق عليه باب صاج تعرض للصدأ، وحالة الضريح مُهملة حيث به الكثير من الخفافيش والأتربة عكس الضريح السابق.**(شكل٢)(لوحات ١١-٢٠)**.

الدراسة التحليلية للوحدات المعمارية والفنية في أضرحة ولاته

رُغم بساطة التكوين المعماري والعناصر الفنية في الأضرحة موضوع الدراسة، إلَّا أنه يمكن التعريج على أهم السمات المعمارية والفنية ذوات الصلة بالموضوع، وذلك من خلال المعاينة الميدانية للأضرحة، وذلك على النحو التالي:

---

[٣٤] بابيه، وَلاَتَه، ص٩١.

[٣٥] محمد، التراث الثقافي والمعماري، ص١٦٥.

المنارة للاستشارات
www.mar

- **التخطيط العام**

يتمثل التخطيط المعماري العام للأضرحة في مدينة ولاته في شكل بناء مستطيل غير منتظم الأضلاع، ويتخير المعماري تبة أو مرتفع لبناء الضريح كرمز ديني، وَمَعْلَم ثقافي للمدينة، ويعْمُدُ المعماري بفتح باب في أحد جوانب البناء كمدخل رئيس يُفضي مباشرة للداخل.

- **الواجهات والمداخل**

تميزت أضرحة ولاته بوجود أربعة واجهات حرة، يُفتح في الواجهة الرئيسة منهم مدخل الضريح، وهو بسط الهيئة المعمارية، قوامه فتحة مستطيلة يعلوها عتب مستقيم، وتُفضي مباشرة للداخل، وغالبًا ما تُترك دون مصرعي باب للغلق.

- **المصاطب أمام الضريح**

نجد ذلك بوضوح في ضريح سيدي أحمد البكاي، حيث يوجد مصطبة مسطحة مستطيلة المساحة على يسار مدخل الضريح؛ كاستراحة لجلوس بعض الزائرين، وهي غُفْل تمامًا من الزخرفة، وكُسيَّتْ بلون الواجهة.

- **الألواح الحجرية**

وهي حيلة معمارية وزخرفية اعتمدها المعماري في تزين واجهة ضريح سيدي أحمد البكاي؛ وذلك لسهولة الصعود إلى سطح المسجد للنظافة والتخلص مما يتبقى من مياه الأمطار.

- **المزاريب**

فقد زودت أسطح الأضرحة بولاته بمزاريب لتصريف المياه الناتجة عن الأمطار الغزيرة في هذا المناخ الصحراوي شديدة البرودة شتاءً، وشديد الحرارة صيفًا، وبذلك تُعد المزاريب إحدى الحيل المعمارية المستخدمة لكي يتكيف البناء مع الظروف البيئية.

- **التراكيب الضريحية**

عادة ما تأخذ الشكل المستطيل، وتتوسط بناء الضريح، ويعلوها الناموسية شفافة للحماية، وإضفاء نوع من الخصوصية المعمارية؛ لكونها أهم أجزاء البناء بالكامل؛ ولإرشاد الزائرين ولفت أنظارهم لمكان الضرح فلا يتخطاه أحد.

المنارة للاستشارات
www.mar

- **الدعامات والركائز**

لجأ المعماري الولاتي أحيانًا إلى تقوية البناء بعمل ركيزة أو دعامة حجرية كبيرة في إحدى جنبات غرفة الضريح؛ لتحمل السقف وتساعد على تدعيم البناء من الداخل، وقد ظهر ذلك واضحًا في ضريح سيدي محمد بن مولاي اعل بموضوع الدراسة.

- **الأسقف المسطحة**

اقتصرت وسائل التغطية في أضرحة ولاته على الطريقة المعمارية البدائية، والتي تتناسب مع إمكانيات الأبنية هناك، حيث وجد نوع واحد من التسقيف، وهو السقف المسطح المكون من جذوع اشجار العُشر المحلية بعد تهذيبها، وترتيبها في وضعية أفقية متراصة، ثُمَّ يربطها ويشد حزمتها لتكون سقف البناء، كما عَمِدَ أيضًا إلى تدعيم السقف أحيانًا بأفلاق النخيل العريضة، كما في ضريح سيدي محمد بن مولاي اعل.

- **الجرار الفخارية**

حيث أُلحق بكل ضريح بموضوع الدراسة جرة أو جرتين من الفخار، تجدهم موضوعين خلف فتحة المدخل مباشرة إلى يمين الداخل، وجاءوا بدون أيَّة زخارف، وفوقهم أغطية؛ لحفظ الماء المخزن بداخلهم.

التأثيرات المحلية والوافدة على عمارة الأضرحة موضوع الدراسة

النمط الصحراوي

تأثرت عمارة الأضرحة بمدينة ولاته بالمنطقة الصحراوية المحلية المحيطة بها، فجاء البناء بالحجارة مخلوط بملاط من الطين، وهذه خاصية من خصائص العمارة الصحراوية بموريتانيا.

النمط السوداني

من التأثيرات أيضًا على عمارة الأضرحة بولاته ذلك النمط السوداني، حيث موقع المدينة بالقرب من مدينة تنبكتو وجنى كانت لها من المؤثرات المعمارية الوافدة، ويظهر ذلك في استخدام الطين في البناء.

ويعد النمط المعماري لولاته أقرب مثال للعمارة التاريخية السودانية في مدن موريتانيا، فالتقاليد المعمارية لولاته تُشكل مزيجًا بين خصائص العمارتين الصحراوية والسودانية،

المنارة للاستشارات
www.mar

حيث يتم إكساء الجدران المبنية بالحجارة كخصوصية صحراوية كليًّا بطبقة من الطين عازلة للحرارة كخصوصية سودانية، ويُوحي المظهر الخارجي لمباني ولاته بتأثرها بالعمارة السودانية، في حين أنها تمثل نمطًا معماريًّا صحراويًّا[٣٦].

وخلاصة ما سبق، نستنتج ما يلي:

– أهمية مدينة ولاته جغرافيًّا وتاريخيًّا كمدينة تجارية على طريق القوافل التجارية.

– تنوع واختلاف مسميات المدينة على مر تاريخها.

–اهتمام الولاتيين بإنشاء الأضرحة والتبرك بأصحابها لما لهم من شأن عظيم لديهم.

– حرص المعمار الولاتي على إظهار الضريح وبناءه في أعلى نقطة في الجبل، وذلك للدعاء لصاحب الضريح لكل من يشاهده من سكاني المدينة.

– حرص الولاتيين على دفن أمواتهم بجانب الأولياء الصالحين.

– استخدام مواد البناء المحلية من البيئة الصحراوية كالحجر والطين.

– جاءت عمارة الأضرحة بسيطة في بنائها، لا تتضمن عناصر معمارية كثيرة؛ وذلك بما يتناسب مع البيئة الصحراوية.

– اهتمام المعماري الولاتي بالغرض الوظيفي للضريح على حساب الأغراض الجمالية والزينة، فجاءت الأضرحة بسيطة التكوين المعماري والزخرفي؛ وربما كان ذلك لدوافع اقتصادية تتمثل في قلة الأموال، ودوافع دينية تتمثل في الزهد والتقشف.

– جاء التكوين المعماري للأضرحة غفلاً من الزخرفة تابعًا للطراز المحلي للمدينة.

– تمثلت الوحدات المعمارية والعناصر الفنية المكونة للعمائر الجنائزية بمدينة ولاته فيما يلي:(المداخل المستقيمة، والتراكيب الحجرية المستطيلة بسيطة البناء المستخدمة في الدفن، والأسقف المسطحة من جذوع الأشجار المحلية، والناموسية البلاستيكية التي تُغطي مكان الضرح، والجرار الفخارية المملؤة بالمياه للشراب، وكذلك رش المياه بأرضية داخل الضريح وأمامه، والمصاطب بسيطة التكوين قليلة الارتفاع أمام واجهة الضريح، وكذلك الألواح الحجرية المثبتة في الواجهة للتسلق لأعلى الضريح).

---

(٣٦) احمد مولود أيده الهلال، صفحات من تاريخ العمارة التقليدية بموريتانيا، مجلة المعهد الموريتانى للبحث العلمي، الوسيط، العدد٨، ٢٠٠٤م، ص٣٠.

المنارة للاستشارات
www.mar

قائمة المصادر والمراجع

أولا: قائمة المصادر

– ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تعليق:بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات، جـ٢، ط١، الجزائر، ٢٠٠٩.

– أحمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غضن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، مج٥، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.

– احمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم، عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، الطبعة الأولى، ١٩٨٩.

– عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر، مراجعه سهيل زكار، ج٧، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠.

– عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، تحقيق حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الاولى، ٢٠١٢.

– محمود كعت، تاريخ الفتاش في ذكر الملوك واخبار الجيوش وأكابر الناس، تحقيق حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٢.

ثانيا: المراجع العربية

– إبراهيم ولد سيد محمد، التراث الثقافي والمعماري لمدينة ولاته التاريخية، مخطوط رسالة دكتوراه، جامعة سيدي محمد عبد الله، كلية الآداب والعلوم الانسانية، فاس، ٢٠١٤.

– احمد مولود ولد أيده الهلال، صفحات من تاريخ العمارة التقليدية بموريتانيا، مجلة المعهد الموريتانى للبحث العلمي، الوسيط، العدد٨، ٢٠٠٤م.

– _____ ، الصحراء الكبرى، الجزء الاول، وزارة الثقافة الجزائرية، ٢٠٠٩.

– _____،مدن موريتانيا العتيقة، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبى رقراق، الرباط، ٢٠١٤.

– احمد بن سيدي، موريتانيا: الماضي المتحرك والمكان المؤثر، الشركة الافريقية للطباعة والنشر، د.ت.

– المختار ولد حامد، موسوعة حياة موريتانيا، التاريخ السياسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الاولى، ٢٠٠٠.

– بول مارتي، كنته الشرقيون، تعريب محمد محمود ولد ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، د.ت.

– حماه الله ولد السالم، المجتمع الأهلي الموريتاني، مدن القوافل، مركز دراسات الوحدة العربيَّة، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٨.

– _____ تاريخ بلاد شنكيطي (موريتانيا) من العصور القديمة الى حرب شربيه الكبرى، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، لبنان، ٢٠١٠.

المنارة للاستشارات
www.mar

– عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠.

– سيدي بن مرزوك، مدينة وَلاَتَه دراسة إقليميَّة، بحث الإجازة في الجغرافيا، قسم الجغرافيا، كليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة، جامعة نواكشوط، ١٩٩٩.

– سداتي بن بابيه، وَلاَتَه من الحاضر إلى الماضي، سيرك ش. م، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥.

– سيد عبد الله بن البخاري، حوليات ولاته، بحث الاجازة، جامعة نواكشوط، كلية الآداب والعلوم الانسانية، قسم التاريخ، ١٩٩٢.

– سيد احمد ولد محمد مولاي، ولاته ودورها الثقافي من ١٦٠٠–١٨٩٩م، جامعة نواكشوط، كلية الآداب والعلوم الانسانية، قسم التاريخ، ٢٠٠٦.

– محمد الأغضف، محمد البشير بن سيدي بن حمادي، ولاته ملتقى الثقافات بين الغرب الإسلامي وبلاد السودان في الفترة ما بين ١٢٠٤ – ١٩١٢ م، منشور ضمن أعمال الندوة العلمية بمناسبة مرور مائة عام على وفاة محمد يحيى الولاتي، منشورات مركز البحوث والدراسات الولاتية، نواكشوط، الطبعة الاولى، ٢٠١٣.

– محمد بن سويسي، العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات تمنطيط نموذجا، من القرن ٦هـ الى ١٣هـ/ ١٢ م–١٩م، مخطوط رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، ٢٠٠٨.

– محمد بن ناصر العبودي، إطلالة على موريتانيا، الطبعة الأولى، ١٩٩٧.

– محمد سعيد القشاط، صحراء العرب الكبرى، مؤسسة ذي قار، الطبعة الثانية، ١٩٩٩.

– مجموعة من الباحثين، الحضارة الاسلامية في مالي، ترجمة محمد وقيدي، منشورات المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، ١٩٩٦.

ثالثًا: المراجع الأجنبية

-Jean Devisse et Serge Robert,Villesanciennes de Mauritanie, paris,1975

المنارة للاستشارات
www.mar

خريطة (١) موريتانيا وحدودها

عن محمد بن ناصر العبودي، إطلالة على موريتانيا،ص١٥.

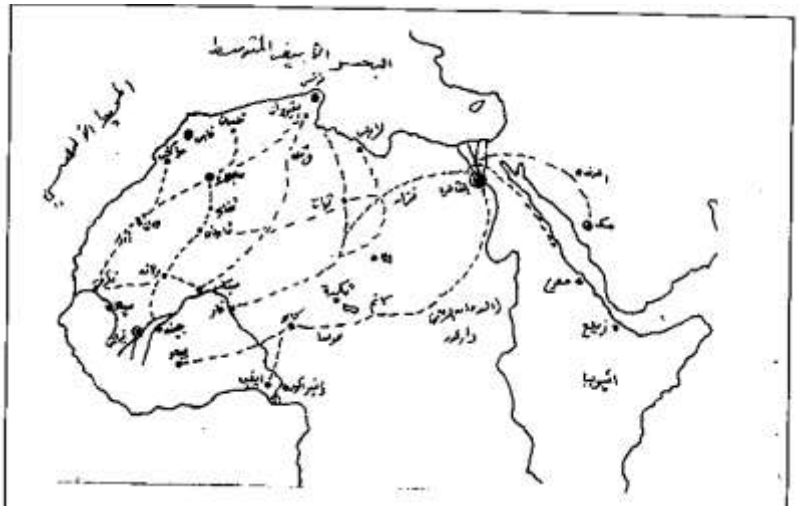

خريطة (٢) طرق القوافل العابرة للصحراء وتظهر بها مدينة ولاته.

حماه الله ولد السالم، موريتانيا في الذاكرة العربية،ص٢٩٠.

المنارة للاستشارات
www.mar

الأشكال

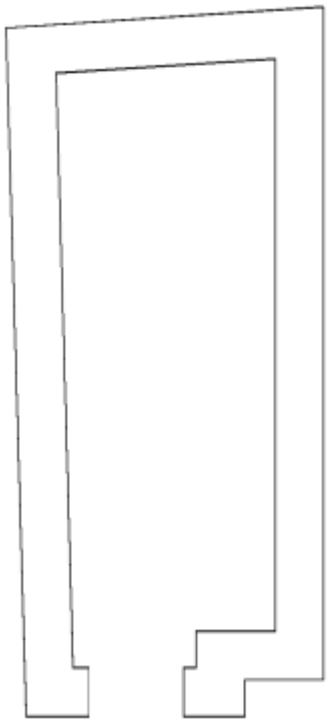

شكل (١) مسقط أفقي لضريح سيدي أحمد البكاي (عمل بمعرفة الباحث)

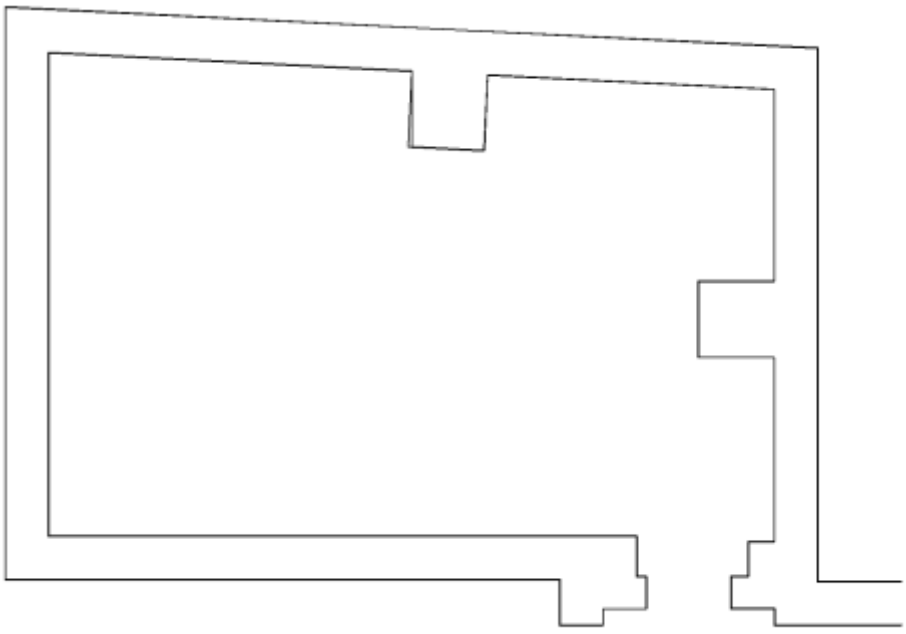

شكل (٢) مسقط أفقي لضريح سيد مولاي اعل(عمل بمعرفة الباحث)

المنارة للاستشارات
www.mar

اللوحات

لوحة (١) ضريح سيدي أحمد البكاي على ربوة عالية (تصوير الباحث)

لوحة (٢) ضريح سيدي أحمد البكاي (تصوير الباحث)

المنارة للاستشارات
www.mar

لوحة (٣) ضريح سيدي أحمد البكاي حيث يصعد إليه ببعض درجات سلم(تصوير الباحث)

لوحة (٤) ضريح سيديأحمد البكاي، مدخل الضريح(تصوير الباحث)

المنارة للاستشارات
www.mar

لوحة (٥) ضريح سيدي أحمد البكاي، مدخل الضريح(تصوير الباحث)

لوحة (٦)ضريح سيدي أحمد البكاي، مدخل الضريح (تصوير الباحث)

المنارة للاستشارات
www.mar

لوحة (٧) ضريح سيدي أحمد البكاي التركيبة تتوسط الضريح (تصوير الباحث)

لوحة (٨) ضريح سيدي أحمد البكاي، الناموسية التي تغطي الضريح (تصوير الباحث)

المنارة للاستشارات
www.mar

لوحة (٩) ضريح سيدي أحمد البكاي سقف الضريح من جذوع الاشجار (تصوير الباحث)

لوحة(١٠) ضريح سيدي أحمد البكاي،ألواح حجرية مثبتة على جدران الضريح من الخارج يتم الصعود بها إلى سطح الضريح(تصوير الباحث)

المنارة للاستشارات
www.mar

لوحة (١١) ضريح سيد محمد بن مولاي اعل الولاتي (تصوير الباحث)

لوحة (١٢) ضريح سيد محمد بن مولاي اعل الولاتي (تصوير الباحث)

المنارة للاستشارات
www.mar

لوحة (١٣) ضريح
سيد محمد بن
مولاي اعل الولاتي
مدخل الضريح
(تصوير الباحث)

لوحة (١٤) ضريح
سيد محمد بن مولاي
اعل الولاتي، باب
الضريح (تصوير
الباحث)

المنارة للاستشارات
www.mar

لوحة (١٥) ضريح سيد محمد بن مولاي اعل الولاتي الضريح من الداخل (تصوير الباحث)

لوحة (١٦)
ضريح سيد محمد بن
مولاي اعل الولاتي
الناموسية تغطى الضريح

المنارة للاستشارات
www.mar

لوحة (١٧) ضريح سيد محمد بن مولاي اعل الولاتي

بعض القبور لأشخاص مجهولين بجوار الضريح(تصوير الباحث)

لوحة (١٨) ضريح سيد محمد بن مولاي اعل الولاتي

بعض القبور لأشخاص مجهولين بجوار الضريح (تصوير الباحث)

المنارة للاستشارات
www.mar

لوحة (١٩)
ضريح سيد محمد بن
مولاي اعل الولاتي
إحدى دعامات الضريح
(تصوير الباحث)

لوحة (٢٠) ضريح سيد
محمد بن مولاي اعل
الولاتي
سقف الضريح من جذوع
الأشجار (تصوير
الباحث)

المنارة للاستشارات
www.mar

Walata Mausoleum in Mauritania An Historical and Civilization Study

Abdelrrhim Hanafi Abdelrehim•

Dr.Mohamed El kahlawy••

abstract:

The architecture of the mausoleums took a large part of the attention of Muslims throughout the ages, until it became a feature of Islamic architecture in the Levant and Al-Maghreb.

Mausoleums are from the buildings that were popularly built on the graves of the saints in Islamic Maghreb.

Perhaps one of the most important reasons of the spread of the phenomenon of building shrines on the graves of the righteous saints is the degree of sanctification and respect that the residents of God's saints have in these areas since ancient times.

The Mausoleums in the city of Walata are tangible aspect of the heritage in this city, because it has a great place in the hearts of its residents, since it includes the graves of the saints and the righteous since the people of the city believe in their goodness and jurisdiction

The mausoleums are designed specifically for the visitors of these sheikhs, who represent a spiritual position among the residents of this city. Therefore, some residents of this city constructed some shrines by building on them to distinguish them from other graves of the public.

And based on the importance that the mausoleum in Walata have been distinguished among other buildings, as they were not just buildings that are built by the people and residents of the city, but it reflects in its architecture the culture of this people.

Keywords:

Mausoleum- Walata- Peru- Bekkay.

• ***Head of Manuscripts Department - Museum of Islamic Art*** abdelrehim.moussa@gmail.com

المنارة للاستشارات

www.mar